

الفصل الأول

عَصْرُ نَجِيبِ الْحِزَابِ

١ - الحركة السياسية

كانت مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر مسرحاً للأعيب السياسية فكثُر فيها الشدّ والجذب بين طمع الدول الأوروبية وأهواء الباب العالي وأثره الأسرة الحاكمة .

وكان الشعب المصري قد اتقد في جوانحه لب العومي الوطني فهبّ يطالب بحقه المهضوم ويخوض الحديد والنار إلى غايته المنشودة تدفعه إليها عواملٌ عدّة بدأت تفعل فيه فعلها منذ مطلع القرن :

هزّت المصريين أولاجلبةُ الحملة الفرنسية وما تركته فيهم من آثار قومية وثقافية فتحوأ أعينهم فيها على مظاهر جديدة تحفل بها الحياة وتتطلع إليها النفوس . وأثارهم ثانياً دوى الثورة الفرنسية الثانية فقد نهتهم إلى معان جديدة لاستقيم بغيرها الحياة الحرّة الكريمة فعرفوا صيحة الإنسان في المطالبة بحقوق الإنسان، وتردّدت على مسامعهم أصواتٌ تحمل إليهم نغمات الحرية والإخاء والمساواة فعصفت بالرماد الذي كانت تضطرم تحته جمرات الوطنية .

وحركت نفوسهم ثالثاً إلى التمرد والتحررّ مظالم قاسية رسفوا في أغلالها وضربها عليهم الولاة والحكام من كل صنف وجيل . وزادهم رابعاً في الحق صلابةً وبأهداب الحرية والكرامة تمسكاً وتوثقاً قيامُ الحرب السبعينية وما عكسته على الشرق من أضواء وظلال وما ضربته لبنيه من روائع الأمثلة في الوطنية والبذل والتضحية (١) .

(١) طالع في هذا كتاب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » للأب لويس شيخو اليسوعي وكتاب « أدب المقالة الصحفية في مصر » لعبد اللطيف حمزة ج ١ و ٣

كل هذه العوامل كانت نيرانها تتأجج في كل قلب من قلوب المصريين سواء من سكن منهم الحواضر والعواصم أم سكن الدساكر^(١) والقرى .

ثم احتاجت تلك الحماسة الجياشة في الصدور إلى اللسان الناطق والقلم المفصح المبين لكي تنفّس وتنتقل إلى مداها فكانت منابر الخطباء ومنصّات المدرّسين مسرح اللسان المعبر وكانت منابر الصحافة والتأليف حلقة للقلم يوجه منها ويرشد وينفث اللحم ويذكي السعير .

وما من شكّ في أن انتشار العلم منذ فجر القرن حتى العقد السابع منه قد ساعد على إعداد الوطني الصالح وأن التفات المتعلمين شطر الغرب يغتفون من مناهله ويأخذون عنه الأمثلة الحسان كان له شأن أي شأن أدرك به الشعب المصرى أنه كغيره من الشعوب الجديرة بالحياة في ظل العدل والحرية والإخاء والمساواة ولولا الاستعداد المكتسب وقد جاء يهدف الاستعداد الفطرى في نفوس المصريين لما كان للسان والقلم ذلك الأثر الفعال الذى هزّ النفوس وحفزها إلى التحرر والانطلاق .

وبينا النفوس في وسوسة ثم في مهمة وبيننا هي تتلقى كلمات الخطباء والكتّاب تلقى الأرض الحصبة للغيث العميم وبيننا هي تثيرها منظومات رفاة رافع الطهطاوى الوطنية وتستوعب «المسلياز» نشيد فرنسا الوطنى وكان رفاة أول من ترجمه ووضع أمام أعين المصريين إذ يقبل على مصر في سنة ١٨٧١ رجلٌ شرقى عظيم هو السيد جمال الدين الأفغانى فيلهب النفوس بتعاليمه ويدقّ في مصر ناقوس الفكر الحر فيلتفت حوله الطلبة والمريدون وتسرى آراؤه في الأمة المصرية سريان الكهرباء فكلُّ بها مهترٌ وكل لها متأثر وكل يسعى إلى سماع أحاديث هذا الزعيم العظيم .

ومكث الرجل في مصر ثماني سنوات محفوفاً بالتجلة والإكرام ممتد الأثر والنفوذ لا ينى عن بث آرائه السياسية والفلسفية في تضامن الشعوب الإسلامية وفي مشاطرة الأمة حياة الدولة وفي خطر التدخل الأجنبي حتى نقل ظله على ذوى السلطان فأبعد من مصر ولكن بقي منه فيها روح وثاب أبى يتردد في جوانح تلاميذه من مثل المويلحى وعبدالله نديم وأديب إسحق ومحمد عبده

(١) الدساكر : جمع دسكرة : القرية العظيمة .

ويتوغل في طبقات الشعب المستنيرة من أطباء ومدرسين وضباط وموظفين ويغرس فيهم بذور الوطنية فنمت وزكت وآتت أكلها .

وكانت الألسنة والأقلام من قبل مجيء جمال الدين الأفغانى إلى مصر وفي إبان إقامته بها وبعد خروجه منها لا تفتأ تبث الدعوة للحرية وتمعن في تلقين النفوس معانى الوطنية فنرى مثلاً عبدالله أبا السعود تلميذ الطهطاوى ينقل إلى العربية تاريخ مصر وبمهره بمقدمة يشرح فيها معنى حب الوطن فهو شىء أعلى من التعلق بمسقط الرأس فإنه يقوم على حب العمل الجيد وعلى الرغبة في التعاون وعلى روح التضحية في سبيل الخير العام .

ونرى كذلك حسيناً المرصفي في «الكلم الثمان» يفسر الكلمات التي كانت تشغل أذهان الطبقة النيرة من مثل كلمة الوطن والحرية والحكومة وما لبث هذا ديدن الخطباء والكتاب حتى انبعث الضمير الوطنى في القلوب فتدمر وتمرد ونشأ عن ذينك التدمير والتمرد ثورة عراقى .

وأخفقت الثورة وأعقبها الاحتلال البريطانى ولكن الضمير الوطنى بقى حياً يقظاً يعلى على الألسنة والأقلام معانى الجهاد والكفاح في سبيل الحرية والاستقلال والتخلص من الاحتلال . ولقد صرحت إنجلترا غير مرة عقب تدخلها في شؤون مصر ونجاح حملتها فيها أنها راغبة في الجلاء عن الديار المصرية فقال «جلادستون» و«جرنقىل» إنهما لا ينويان تحميل بريطانيا أعباء نفقات جيش بمصر و«جرنقىل» هذا هو الذى أرسل إلى «بسمرك» يقول: «إن ذلك يكلفنا كثيراً جداً فضلاً عن أنه يضطرننا إلى إنشاء تحصينات من الطراز الأول»^(١) وها قد مضى على هذا التصريح نحو من سبعين عاماً ولم تجلُ إنجلترا جلاءً تاماً عن أرض الكنانة^(٢) .

(١) هناك كتب كثيرة في تاريخ مصر الحديث فإن شئت أن تقف على آراء بعض المؤرخين الغربيين في ذلك التاريخ فطالع كتاب :

Gabriel Hanotaux. Histoire de la Nation Egyptienne.

وكتاب *Précis de l'Histoire d'Egypte, par Divers Historiens & Archéologues, Tome IV.*

(٢) تمت المرحلة الأخيرة من هذا الجلاء في شهر يونيو (حزيران) سنة ١٩٥٦ تنفيذاً للاتفاق الذى أسفرت عنه المفاوضات بين الحكومتين المصرية والبريطانية وتلك لعمري مائة جلية خالدة وفوز مبين لرجال الثورة الأحرار .

وكانت الحال بسورية ولبنان في الربع الأخير من القرن التاسع عشر على شيء من الهدوء والاستقرار ولكنها كانت على جانب كبير من الضنك والضييق فإذا عدنا القهقري إلى السنوات العشر التي سبقت منتصف القرن وإلى السنوات العشر التي تلته وجدنا لبنان ساحة دامية للثورة الأهلية بين الدروز والنصارى فقد أوغر رجال الدولة التركية صدور الدروز وأثاروا حفائظهم فحفظوا في سنة ١٨٤١ إلى السلاح يُعملونه في رقاب إخوانهم النصارى ثم أعادوا الكرة في سنة ١٨٤٥ ثم استأنفوها في سنة ١٨٦٠ وبعثوها في هذه المرة فتنه عمياء طاحنة امتدّ لها إلى سورية وأسفرت عن نظام جديد بلبنان هو نظام المتصرفية فرضته الدول الغربية عليه فلقى في ظله بعض الأمن والعافية ولكنه لم ينج من عنجبية المتصرفين الأتراك ولا من فساد بعض هؤلاء المتصرفين وجشعهم في جمع المال من أي سبيل كان^(١).

وانكش لبنان في حدوده الضيقة على عهد المتصرفية فلا سهل ولا ثغر إلا القمم الجرد والصخر الجديب فكان على أهله أن يستنبتوا الحجر الصلد والأرض القاحلة فما تمتعوا مع ذلك على عزائمهم وهمهم .

وكان من أثر الحرب الأهلية في سنة ١٨٦٠ ومن أثر الضيق الذي جثم على صدر الجبل أن نزح كثير من السكان إلى المدن والسواحل ثم إلى بلاد الله الواسعة يلتمسون فيها الرزق الحلال من شقّ النفس وعرق الحيين وجهد الفكر .

وليست هجرة السوريين واللبنانيين بالأمر الطارئ عليهم عقب ثورة الدروز وإنما سنوا لأنفسهم الهجرة وأقبلوا عليها منذ عهد الاحتلال العثماني

(١) من هؤلاء المتصرفين الذين جنحوا إلى الرشوة والفساد متصرف اسمه «واصا باشا» وفيه يقول تامر الملاط رائيًا مؤنبًا معرضاً :

قالوا قضي «واصا» وواراه الثرى فأجبتهم وأنا الخبير بذاته

زنوا الفلوس على بلاط ضريحه وأنا الكفيل لكم برد حياته

ولقد اشتهر هذان البيتان بين الخاصة والعامة شهرة غريبة حتى اتفق أن مكاريين كانا عائدين مرة من بيروت ووفقا يتحاسبان في الحازمية حيث ضريح «واصا» فسقطت قطعة من الدراهم ورنّت فقال أحدهما للآخر مجازحاً : احذر أن يستمع «واصا» فيقوم من قبره . (ديوان الملاط . الطبعة الأولى) .

فقد نفرتهم مظالم ذلك العهد وفرقتهم أيدي سبا^(١) في أنحاء المعمورة وإنهم لقوم يجرى في عروقهم حب الأسفار والمغامرة وركوب البحر وحب الاتجار مع القصص النائي من الأقطار . فالشامى رجل ولوع بالحرية والاستقلال صبور على المكاره معتد بنفسه إلى أبعد حدود الاعتداد بالنفس واثق بما جباه الله به من ذكاء وثبات وجلد فإن ضاق به الرزق في وطنه طلبه في أبعد الأوطان فعبقريته وعزيمته كفيلتان بأن توقرا له ذلك الرزق ولو كان في جبهة الليث أو في قبة الفلك^(٢) . وإذا مسه الضر والأذى في بلده هجره إلى البلد الذى يعيش فيه حرّاً آمناً مطمئناً .

ومن الطبيعي أن يكون وادى النيل هو المهجر القريب الذى تطلعت إليه قلوب الشاميين فالجوار واللغة ووحدة العادات أهابت بالأدباء الأحرار إلى الفرار من ربة الرقيب العثماني وإطلاق أقلامهم في الوادى المكفولة فيه حرية الأقلام كما أهابت بأهل السعى إلى التزوح عن الجبل القاسى إلى السهل الخصب حيث السعة والأمن والرخاء^(٣) .

والنازحون إلى مصر من حملة الأقلام في الربع الأخير من القرن التاسع عشر لقوا في مصر أهلاً بأهل وإخواناً بإخوان فشاركوا المصريين في الحياة العامة وصهرتهم البوتقة المصرية فعاشوا أوفياء لمصر يحسبون بإحساسها وتخالج قلوبهم آلامها وآمالها وكان لهم في الصحافة والأدب شأن جليل وقفوا فيه أقلامهم على خدمة مصر والمصريين^(٤) .

(١) سبا : حى من اليمن تفرق أهله على أثر السيول التى غمرتهم من تهدم السد الذى كانوا يجزون به الماء ويقال للمتفرقين : ذهبوا أيدي سبا وأيادى سبا . قال ذو الرمة :

فيا لك من دار تحمل أهلها
أيادى سبا بعدى وطال اجتنائها

(٢) إشارة إلى العزة والمنعة كما قال الشاعر العربى القديم :

ليت الملاح وليت الراح قد جملا
في جبهة الليث أو في قبة الفلك

كيسلا يقبل ذا ثغر سوى ملك
ولا يطوف بحانان سوى ملك

(٣) اقرأ كتاب « السورىون فى مصر » للخورى بولس قرالى . وكتاب « والشام

فى الغابر واخاضر » للدكتور أسعد طلس .

(٤) ذلك كان ولا يزال مذهب جميع الشاميين النازلين بصفاف هذا الوادى الأمين

فإن كان شذ عنه نفر قليل فلا عبرة فى الشواذ . .

٢ - البيئة الاجتماعية

تطلع المصريون إلى الغرب من زاوية السياسة فوقت أبصارهم فيه على المعاني الجديدة لحرية الشعوب وحقوق الإنسان ونظام الحكم وتطاعوا إليه من أفق الاجتماع فاسترعت انتباههم حضارته المتألقة وعاداته البراقة فاندفعوا يقتبسون من أنوار مدنية جديدة عليهم استحوذت على ألبابهم وأفكارهم فأغفلوا الملابس الشرقية واستبدلوا بها الملابس الإفرنجية وانصرفوا في فن البناء عن الأطرزة العربية الجميلة التي كانت متعة النواظر في القصور والدور إلى احتذاء الهندسة الأوربية التي توفر لهم أنظمتها أسباب الراحة .

ومال الشبان في أوقات فراغهم عن الجمود والقيود إلى الألعاب الرياضية يزاولونها ويقضون فيها الساعات الطوال .

وتسربت عادات المجتمع الأوربي إلى عادات الأسرة الشرقية في الأطلعة والمآدب والأزياء ونخلت القوم بالأخلاق الغربية في أحاديثهم وندواتهم وعكفوا على اللغات الأجنبية يتحدثون بها أو يمزجون طرفاً منها باللغة العربية تأثقاً وتطرفاً^(١) .

وخرجت المرأة كذلك عن العادات الشرقية المأثورة وتراخى حبل المحافظة على العادات العربية والسجايا العربية واندفع الناس على الجملة إلى التشبه بالحياة الغربية يأخذون منها الغث والسمين والصالح والطالح مفتتين بالجديد متطبعين بطباع ياباها الخلق العربي المحافظ فغرقت البلاد في موجة من التفرنج امتدت إلى أصول الأخلاق فعصفت بها حتى أصبحت المضاربة بالمال والمقامرة عادة مستحكمة في النفوس وأصحت الرشوة والمحابة داء ينفث سمه في شرايين المجتمع وحتى كاد التأثق عند بعض الشبان ينقلب إلى لؤثة من الرقاعة والفساد فأفاق العقلاء من غفوتهم وهبوا يدرؤون عن الوطن وأبنائه وبناته هذا الوباء الجارف الذي نقلته إليهم ريح الحضارة الغربية

وأسهمت الصحافة في هذا الواجب الخلقى الوطني لإسهاماً كبيراً وقام الشعراء

(١) انظر في هذا كتاب :

والأدباء ينددون بتهالك الشباب على المفاسد ومن هؤلاء الشعراء والأدباء كان نجيب الحداد .

ومن الظواهر الاجتماعية في هذه الحقبة من القرن التاسع عشر مناداتة الأتلام بتحرير المرأة فقد بدأ صريرها في هذا الموضوع الخطير ضعيفاً خافتاً ثم علا دوايلك حتى نهض قاسم أمين^(١) بالدعوة لتحرير المرأة فانقسم الناس بين مؤيد ومفند وكان جمهرة الفضلاء يرون رأيه ولا يجارون به فكان هو أشجعهم في إعلان رأيه صريحاً واضحاً والوقوف دونه مجاهداً مدافعاً .

على أن المناداة بتحرير المرأة لن يكون لها الصدى المرجو إذا لم يكن هناك مدارس تحررها أولاً من ربقة الجهل وتنقلها إلى مراتع العلم والمعارف فأول مدرسة للبنات كانت قد أنشئت بالقاهرة في سنة ١٨٧٣ وأولاً مدارس البعثات الأوربية من مثل مدرسة راهبات الراعي الصالح بشبرا (أنشئت سنة ١٨٤٤) ومدرسة راهبات القديس منصور في حى الموسكى (أنشئت سنة ١٨٤٥) ثم فى شبرا . ومدرسة الرسالة الفرنسية كانية الإيطالية فى كلوت بك بالقاهرة (أنشئت سنة ١٨٥٩) ثم بالمنصورة وكفر الزيات والإسماعيلية لولا هذه المدارس الأجنبية للبنات وقد نهضت وحدها فى أول الأمر تضطلع بعبء تهذيب الفتاة وتنقيتها وهى من القلة بحيث لا تفى بجاجات أمة كالأمة المصرية لما كان للفتاة المصرية أى معهد تتحرر فيه من الجهل وتستقبل الحياة على شىء من العلم والدراية والمعرفة. فوجود هذه المدارس وعناية بعض الأسر بتهذيب بناتها فى جو خاص كان النواة لنهضة المرأة المصرية مجسّمة فى عائشة التيجورية الأدبية الشاعرة التى تلقت النحو والعروض على فاطمة الأزهرية وستية الطبلابية^(٢) فدعوة تحرير المرأة كانت دعوة لازمة واجبة ما لبثت على مرور الزمن أن ارتفع صوتها فوق أصوات المعارضين ونعمت البلاد بنجيراتهما على النحو الذى نراه اليوم فى منتصف القرن العشرين .

ولئن عدنا التمثيل جانباً من جوانب البيئة الاجتماعية وجدنا التمثيل العربى

(١) انظر ترجمته فى « تراجم مشاهير الشرق » ج ١ ص ٣٠٠

(٢) انظر « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرى زيدان ج ٤ ص ٢١٤ (الطبعة الثانية)

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر قد بدأ يستقيم له كيان في مصر وتفتح له في بعض الأحيان أبواب دار « الأوبرا » ويعنى به الحكام والولاة وتتألف فيه الأجواق كجوق يوسف خياط وسليمان القرداحي ومن أعضائه جوقة الشيخ سلامة حجازي وكجوق أبي خليل القباني وإسكندر فرح ومال إليه الكتاب يغذونه بالمسرحيات المترجمة « وأشهر هؤلاء الكتاب الشيخ نجيب الحداد وأشهر ما كان يمثل على المراسح المصرية من تأليفه أو تعريبه حتى جرى كثير من أشعارها وأناشيدها على الألسنة مجرى الأمثال (١) » .

كذلك كان للموسيقى والغناء شأنهما الرفيع في ذلك العهد فكان معظم الروايات التي تمثل على المسارح يتخللها الغناء اجتذاباً للجمهور الذي يميل إلى سماع الغناء ويطرب له وكان الموسيقيون أو المغنون يجودون صناعتهم ويقتبسون من تركيب الأصوات والأنغام التي تلائم النوق العربي وتهز أسماع العرب وأفتنتهم.

٣ - النشاط الثقافي

كان النشاط الثقافي في الحقبة التي تعيننا من القرن التاسع عشر ظاهر الأثر وضاح الغرر فقد أينعت فيها ثمار البعثات العلمية التي نهلت من ينابيع الغرب وقام الأزهر بنصيبه من البعث والانطلاق والتجدد بعد الفتوى التي أصدرها الشيخ محمد الإنابلي شيخ الجامع الأزهر وأمن عليها الشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية بجواز « تعام المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعات وتركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف » وبعد روح الإصلاح التي بثها محمد عبده في الأزهر واستهدى بها نفر من تلاميذه .

ولقد كانت تلك الحقبة آهلة بالعلماء والأدباء والشعراء يدور إنتاجهم إلا أقلهم في فلك القديم ومحاكاته . على أن طابع تلك الحقبة إنما يتجلى في أمرين اثنين هما الصحافة وترجمة الروايات .

(١) « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ج ٤ ص ١٣٣ (الطبعة الثانية) .

شهدت مصر في سنة ١٨٦٥ ميلاد أول صحيفة مصرية بعد صحيفة «التنبيه» على عهد الفرنسيين وبعد «الوقائع المصرية» تلك هي مجلة «اليعسوب» الشهرية لمنشئها محمد علي باشا الحكيم وإبراهيم الدسوقي ومنذ ذلك التاريخ حتى نهاية القرن التاسع عشر زخرت مصر بالصحف والمجلات السياسية والأدبية أنشأها المصريون أو أصدرها الشاميون الذين هرعوا إلى وادي النيل واتخذوه ميداناً لسوابق أقلامهم^(١).

فجال هؤلاء وأولئك في السياسة والأدب وأنشأوا فن المقال الصحفي وكان للشاميين أثرهم «وفضلهم على الصحافة الشعبية المصرية»^(٢). أما الترجمة فيبدأ كذلك عهدنا المنظم في زمن الحملة الفرنسية فالمنشور الذي أمر بوزابرت بتوزيعه على أهل الإسكندرية قد ترجمه «قتور» وطبعه المستشرق «حنا يوسف مرسيل» مدير مطبعة الخدمة وقام بهذا العمل على ظهر الباخرة «لوريان»^(٣) ثم تنوع دوائر الترجمة في مصر طوال العقود الثمانية من القرن التاسع عشر يقوم بها مستشرقون وشرقيون يديرونها في نقل الكتب العلمية والأدبية أو المحاضرات ويستخدمونها في الأعمال الحكومية حتى كان الربع الأخير من ذلك القرن فجداً جدها واتسعت دائرتها أيما اتساع وتناولت مختلف الفنون والشؤون ودارت اللغات الأجنبية على الألسنة وشجعت الحكومة الترجمة والمترجمين ونهض بها غير واحد من الأدباء ممن لم يعولوا في نشر كتبهم المترجمة ورواجها إلا على

(١) نذكر من صحف المصريين: «وادي النيل» أنشأها أبو السعود أفندي سنة ١٨٦٦ و «نزهة الأفكار» الأسبوعية لإبراهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال صدرت سنة ١٨٦٩ ولكن لم تعش غير أسبوعين و «روضة المدارس» صدرت سنة ١٨٧٠ وكتب فيها كثير من الأدباء والعلماء و «الوطن» لميخائيل عبد السيد أنشئت سنة ١٨٧٧ و «المؤيد» للشيخ علي يوسف. و «الأستاذ» لعبد الله زديم أصدرها سنة ١٨٩٢

ونذكر من صحف الشاميين: «الكوكب الشرق» لسليم باشا حموي (١٨٧٣) و «الأهرام» لسليم وبشارة تقلا (١٨٧٥) و «المقطم» لصراف ونمر ومكاريوس (١٨٨٨) إلى كثير غيرها ما بين يومية وأسبوعية وشهرية من مثل «المقتطف» و «الهلال» و «اللطائف» و «لسان العرب» و «أنيس الجليس» . . .

(٢) «أدب المقالة الصحفية في مصر» لعبد اللطيف حمزة ج ١ ص ٢٧

(٣) «حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر» لحاك تاجر ص ٤

الشعب فكسب العصر زاداً طيباً من المعارف ما بين علمية واجتماعية واقتصادية وسياسية وأدبية وظفرت المكتبة العربية بنفائس من كتب الغرب .

غير أن العقمدين الأخيرين من القرن التاسع عشر قد تميزا بترجمة القصص والروايات التمثيلية . ولما كان فن التمثيل العربي بمصر شامخاً الأرومة فقد مهره الأدباء السوريون واللبنانيون بطائفة صالحة من الروايات التمثيلية نقلوها من اللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية ثم شرعوا يعالجون التأليف فحذا حذوهم المصريون ترجمة وتأليفاً أو اقتباساً وتمصيراً كرواية « تروتوف » نقلها عثمان جلال وسبكها في قالب مصري وسماها « الشيخ متلوف » . ولم ينحصر نشاط المترجمين في الروايات التمثيلية بل تعداه إلى مختلف ضروب القصص فلقبت هذه من الجمهور إقبالا كبيراً وتسربت المعاني والأساليب الإفونجية إلى الأدب العربي شعره ونثره على أسنة أقلام المترجمين يبرزها الضعيف منهم في ثوب ركيك مهلهل ويجلوها القوي الكفئ في برود قشب من الديباجة العربية .

ويتيم صورة ذلك النشاط الثقافي في تلك الحقبة توافر المحافل والأندية والأباء الأدبية وقيام الجماعات العلمية والأدبية^(١) وتوفر المطبعة الأميرية والمطابع الأهلية على إخراج نفائس الكتب العربية ثم ارتباد الناس للمكتبات العامة^(٢) ينهلون من معينها هذا إلى ترددهم على المتاحف^(٣) يرهفون بذلك أذواقهم ويصقلون ملكاتهم وإلى ازدياد عدد المتعلمين ممن يتخرجون في المدارس المصرية أو المدارس الأجنبية بمصر أو ممن يشدون الرحال إلى بيروت ليتلقوا العلم في الكلية الأمريكية^(٤) أو كلية الآباء اليسوعيين^(٥) أو في غيرهما من المدارس الوطنية هناك^(٦) .

(١) من مثل « الجمعية الجغرافية » (١٨٧٥) و « جمعية المعارف » (١٨٦٨) و « الجمعية الخيرية الإسلامية » (١٨٧٨) .

(٢) دارالكتب (١٨٧٠) والمكتبة الأزهرية (١٨٧٩) و « المكتبة البلدية بالإسكندرية » (١٨٩٢)

(٣) « المتحف المصري » (١٨٦٣) و « متحف الفن العربي » (١٨٧٠) .

(٤) كانت أول عهدها مدرسة في قرية « عيبة » ببلبنان أنشئت سنة ١٨٤٧ ثم حوئت إلى

كلية ونقلت إلى بيروت في سنة ١٨٦٦

(٥) أنشئت أولاً في « غزير » ببلبنان ثم نقلت إلى بيروت في سنة ١٨٧٤ .

(٦) « كالمدرسة البطريركية للروم الكاثوليك » (١٨٦٥) و « مدرسة الحكمة » للموارنة

(١٨٦٥) و « مدرسة الثلاثة الأقطار » للروم الأرثوذكسيين نقلت من « سوق الغرب » إلى بيروت في سنة ١٨٦٦